قصة نبيل النبيل

- أرجوك يا ست لطيفة... أنا لا أريد لزوجتي أن تهان... وممن... من الشاب الذي تعتبره مثل ابنها أرجوك أوجدي طريقة للتعامل مع ابن أختك نبيل... أنا لا أريد أن تتدخّل أم يوسف مرّة أخرى.
- أخبرني ماذا حدث يا أبا يوسف... هل أساء إليها نبيل... أو تفوّه بكلمة سوء.
- الموضوع أكبر من ذلك... أعتقد أنّكم تعرفون جيدًا ماذا يحدث... إنه غير طبيعي أبدًا... لولا محبّتنا للمرحومة أم نبيل لقاطعناهم منذ زمن بعيد...
- طوّل بالك يا أبا يوسف... نبيل شاب يعيش فترة طيش... يجب أن نتحمّله قليلاً ونبحث عن طريقة صحيحة للتعامل معه...
- لن نتكلّم بالألغاز يا أمّ يوسف... أتسمحين لي بالكلام الصريح يا ست لطيفة... صدّقيني أنني أتكلّم من غيرتي على مصلحته...
- تفضّل يا أبا يوسف قُل ما عندك...
- لو كان الأمر مجرّد طيش شباب لهان الأمر، لوافقتكم بأننا يجب أن نسايره ونتحمّله لكن موضوع نبيل مختلف. فهو قد تغيّر تغييرًا كبيرًا، عادةً الطيش يبدأ منذ الصغر، أمّا نبيل فقد كان شابًا رصينًا لطيفًا حلو المعشر الجميع يحبّه ألا تذكرين.
منذ أن بدأ يكبر والجميع يتوسّم فيه الخير، كم ساعد والده وكم تعب ليستطيع تدبّر مصروف دراسته.
كان يسهر الليالي ونحن بحكم جيرتنا لهم بإمكاننا مشاهدة كلّ شيء. ذلك الشاب الذي رعى أخته وانتبه إليها في غياب الأب الدائم لا يمكن أن يمرّ الآن وبعد كلّ هذه السنين بطيش الشباب. هل أنا مخطئ يا ستّ لطيفة؟

- هذا ما يحيّرنا، ولا نفهم له سبب، أين نبيل المهذّب اللطيف الذي سهر الليالي بجانب سرير والدته حين اشتدّ عليها المرض، لا أدري كيف استطاعت هذه الشيطانة أن تسلبه عقله!!

- أيّة شيطانة هذه؟ قلت لك أن في الأمر شيء ما! لا يمكن لشاب عاقل مثل نبيل أن يتغيّر هكذا كليّة دون سبب.
شيطانة؟ لا ، لا، مهما كانت شيطانة فهي لا تجعله يرفع يده على والده العجوز. فهمت من صراخه أنّ في الأمر فتاة.
- بل قد ذهبت بعقله يا أبا يوسف ولا أخفي عنك أنّنا حاولنا كثيرًا إبعاده عنها، دون فائدة. هي ليست فتاة كما تعتقد يا أبا يوسف.
- ما الأمر إذن هل هي المقامرة والخمر؟
- الأمر أقوى من هذا أيضًا!! لكن طالما سألت وأعرف صدق نيتك، عليَّ أن أصارحك.
والله أخجل من ذكر اسمها.
جعلوه يجرّبها حتى تعلّق بها وأدمن عليها فسلبته عقله ورصانته وتهذيبه. حوّلته إلى وحش مفترس. ولم يعد أمره يخفى على أحد.
- ما هذا الذي أسمع يا ستّ لطيفة، وهل تعرفون ذلك منذ زمن بعيد؟
وأنتِ هل تعلمين ذلك يا أم يوسف...
- الحقيقة...
- كل الأمور تهون، أمّا هذه فلا... اسمحي لي. كيف جرى هذا؟
- بعد أن تحسّن مركزه في الشركة التي يعمل فيها، وثبت كمهندس وليس متدرّب وجرت النقود بين يديه.
وبعد أن زوّج أخته وسافرت مع زوجها إلى أميركا. التفّ حوله شبّان جرّوه إلى ذلك الطريق السيّء.
- يا ستّ لطيفة هذه أمور تحدث لشاب في الرابعة عشرة أو التاسعة عشرة أي في عمر المراهقة وعدم الإدراك، أمّا شاب بعمر نبيل تجاوز التاسعة والعشرين وكان مثالاً للشاب المهذّب الرصين، وتقولين لي جرّوه، عقله في رأسه ولا يستطيع أن يجرّه أحد. ألم تشعروا به منذ البداية وقبل أن تستفحل حالته.
- وكيف لنا أن نحسّ، كل ما في الأمر أنّنا استغربنا عدم قبوله السكن مع والده بعد حصوله على القرض العقاري، واستلامه مفتاح بيته الجديد. فقلنا شاب ويريد الاستقلال بنفسه.
أوهمنا أنّه يريد الزواج، وفرحنا بهذا الشعور ولم نراجعه أبدًا بل على العكس فقد أخذت على عاتقي الاهتمام بوالده العجوز خاصة بعد العملية الأخيرة. وبرغم حاجة والده الماسّة إليه لم نعترض على كلّ ما يفعل. لكن الأمور لم تعد في حدود الإسراف في المصروف وعدم السؤال ماديًّا عن والده بل صار يأتي إليه ليطالبه بما ترسله أخته من مبالغ لمصروفه الخاص. وعندما لا يجد أي شيء يتصرّف بجنون.
- وبعد،
- حتى رفاقه انفضوا عنه بعد أن نفذ ما معه من مال.

- لا... هذا لا يصدّق،
على كل حال، الأمر الآن صار أخطر، ليبعد الله الشرّ عنّا وعنكم، أنتِ يا ستّ لطيفة على عيني ورأسي وكذلك أختك الستّ جميلة وكرامة المرحومة إم نبيل أما ما عدا ذلك فنحن لا دخل لنا ولا رأي.
أرجوك ليكن كل شيء بعيد عنّا، نحن لسنا بمستوى مشاكل من هذا النوع.

- سامحيني يا أختي لطيفة ليس بيدي فعل أي شيء، البيت بيتك لكن الموضوع صار أكبر من أن يُسكت عنه.
- هل تريدينني أن أرى شابًا مثل نبيل يغلط في الكلام لأبيه ويرفع يده عليه طالبًا المال وأسكت. إشكري الله أنّني لم أدعُ الشرطة، هذا فظيع ؟! وأنتم ساكتون؟!

- شكرًا لكم على كلّ حال. سأحاول معه مجدّدًا. صدقوني لم أترك وسيلة لم أتّبعها معه دون فائدة. لقد سلبته هذه الشيطانة حسّه وعقله. أختي جميلة تصرّ أنّنا يجب أن ندخله المصحّ. سأحاول معه مجدّدًا. ما رأيك يا أبا يوسف.
- ليس لي رأي ولا دخل، ليبعد الله الشر عنّا، أعتقد أنّ أختك عندها حقّ.
- سأذهب الآن لرؤية العجوز المسكين.
- مع السلامة.

عجوز ومسكين، ذهب العمر ببصره بعد أن خطف الموت زوجته.
زوجته التي كانت في البيت الأب والأم. اهتمّت بكل شيء وهو بعيد يعمل ويعطيها المصروف وهي تتصرّف وهو لا يعلم شيئًا آخر عن أي شيء. كانت مدبّرة، ذكيّة، حنون،
وعندما داهمها المرض اختلفت الموازين كلها. لم يعد أحد يعرف شيئًا لأنّ كل شيء كان يتم عن طريقها.
مرضها القوي لم يسمح لها بتعليمهم أصول التدبير الذي تتبعه، فتاه الشاب الذي كان قد كبر وتضعضعت أحواله.
والفتاة لم تكد تحسّ بغياب والدتها حتى جاء من يطلبها للزواج ووافقت لأن الزواج هذا يحمل السفر معه فابتعدت وتركت الشاب في فراغ.
الأب، الأب في بعده المعهود وقد زاد صعف بصره من إحساسه بالسلبية والضياع فانزوى بضعف ينتظر ساعته ليلحق برفيقة عمره، دون أن يحاول الاقتراب من ولده والانفتاح عليه ومشاركته الحياة.
المشاركة نعم هذا ما لم يتعلّموه أبدًا، المرحومة كانت تقوم بكل صلات الوصل دون أن تترك للمشاركة مكان.
فنشأووا كل على حدة، ولم يستطيعوا تبادل الاهتمام والوحدة قاتلة.
للشاب وللعجوز.
العجوز تقبّل وحدته وانزوى ينتظر.
أما الشاب فالدماء التي تغلي في عروقه جرّته إلى البحث عن البديل.
وغرق... في بحور اللذّة التي لم يكن ليفكّر بها. وهذه بالتأكيد جرّته إلى غلطة العمر.
الرجولة أن تجرّب كل شيء؟! هذا منطق الشبّان الذين عاشرهم واندفع وراء أهوائهم وهو رجل، نعم رجل، لا يعيبه أن يجرّب، ويستمتع، لم لا؟
وغاص في الوحل حتى لم يعد يعرف أين تكون الأقدام التي يقف عليها. أضاع كلّ شيء. ولأنّه أصلاً ليس كذلك، صعبت عليه نفسه فتمادى في الاستهتار. لينسى. وخلق لنفسه منطقًا يناقش به كل من يحاول إعادته إلى رشده.
وانكشف القناع.
لم يعد أمره يخفى على أحد.
وصله إنذار من المكتب الهندسي الذي يعمل به. قطعوا راتبه، رفاقه، رفاق السوء، انفضّوا من حوله إلى صيد جديد.
وعاد إلى الوحدة القاتلة. لكنّها هذه المرّة قاتلة فعلاً و مدمّرة. يتخبّط فيها بهستيريا دون وعي كي يحصل بأي طريقة على بعض المال فيشتري حقنة يحقن بها نفسه لتستقيم أموره فيعي ما وصل إليه حاله.
حينها يقبع في زاوية البيت نادمًا، حزينًا، يتمنّى الموت واللحاق بوالدته.
وهل تنفع كلمة إرشاد في حالة كهذه؟؟ كلا ، بل تزيد الأمر سوء.
خالته لطيفة مشغولة ببيتها وبأبيه. تقدّم له النصائح التقليديّة. لذلك صار يحرص على عدم تواجده أثناء قدومها لجلب الطعام لوالده.
الخالة جميلة. المربّية الفاضلة. ليس لديها وقت تضيّعه في السؤال عنه. أو على الأقلّ هذه هي الحجّة التي أقنع بها نفسه كي لا يذهب إليها ويطلب مساعدتها.
وحيد، أقنع تفسه أنه وحيد وقد تخلّى عنه الجميع أو قد ابتعد عن الجميع وخاصة عن نفسه، يتألم، ويتألم.
ينظر إلى نفسه في المرآة، فيرى وجوهًا غير نفسه التي يعرف، تارة إنسانًا أبيض الملامح، باهت القسمات. وتارة يرى وجهه أسودًا مقيتًا.

وقد مضى زمن طويل لم يجد فيه ذلك الوجه المشرق أملاً وتفاؤلا، الذي سعى إلى النجاح والتفوّق بكل قوّته. والذي كان يرى من خلاله سمر.
سمر تلك الفتاة التي كان يعجبه اتّزان تحرّكاتها فيلاحقها عن بعد، ويسعى للمرور تحت شرفة منزلها، ويكون على دربها عند العودة من المدرسة. وهي تبتسم من بعيد، وتنتظر مروره.
حتى سمر لم تعد تنتظره، بل تغيّر طريقها عندما تراه، أو تدخل إلى البيت إذا مرّ تحت الشرفة.
الوحدة والانزواء عدوّان للعقل السوي. يسلبان قدارته ويسيطران على توجّهاته. فكيف في ظل نفس مضعضعة الإرادة سجينة السمّ القاتل.
- مرحبًا لطيفة كيف أحوالك؟
- أحوالي لا تسرّ يا جميلة.
- خير إن شاء الله. هل من جديد.
- نبيل يا جميلة، نبيل.
- أي جديد عن نبيل؟
- أتى اليوم إلى أبيه طالبًا المال وعندما لم يجد لديه ما يريد أغلظ له في الكلام ضربه. حتى أن جارهم أبا يوسف تدخّل وطرده من البيت وكاد أن يطلب الشرطة.
- ليته فعل ذلك. لن يربيه ألا تصرف كهذا. صدّقيني يا لطيفة نحن نخطئ بحقّه عندما نتركه هكذا دون علاج.
- لا تعودي إلى هذا الكلام يا جميلة. نبيل ابننا. منذ وفاة أختي عاهدت الله على رعايته فهل آخذه بيدي إلى الشرطة أو إلى المصح.
- وهل طلبت منك يومًا التخلّي عنه أو هل فعلت أنا ذلك ؟ لكن حالته ليس لها دواء باستطاعتنا نحن تقديمه له. يجب أن يساعده أشخاص مختصّون.
- يجب أن نحتمل أكثر. يحب أن نضحّي من أجله. يجب أن نجد له مخرجًا بعيدًا عن الفضيحة إن لم يكن من أجله فمن أجل أخته ومن أجل خاطر المرحومة أختنا.
هل تعتقدين أنها ستكون مرتاحة في تربتها ونحن نسلّمه إلى الشرطة أو إلى المصحّ؟.
- يا لطيفة لو كانت والدته على قيد الحياة لفعلت ذلك.
- ليس هناك أم على الإطلاق تفعل هذا بولدها.
- بل تفعل إن كانت هي مصلحته.
- يبدو أن بعدك عنه كل هذا الوقت جعل قلبك قاسيًا عليه.
- وهل تعتقدين أنني لا أحبّه مثلك أو أكثر يا لطيفة؟ لكنّي أشفق على شبابه الذي يضيع منه هباء وهو غير مدرك لما يفعل.
دعينا نذهب إلى الدكتور وجيه ونسأله عن الطريقة الصحيحة لعلاجه والمصحّ الأفضل وأنا مستعدّة لدفع كافّة مصاريف علاجه.
- لكن الدكتور وجيه يعرفنا. ويلي من هذه الفضيحة.!
- هل تعتقدين أن الفضيحة لا تهمّني يا لطيفة لكن مصلحة نبيل عندي أهم. إذا كنّا نحبّه فعلاً علينا أن نذهب إلى الدكتور وجيه ولأنه يعرفنا فإن ذلك سيسهّل الأمور ويدلنا على حلّ مناسب.
- ما زلت غير مقتنعة. الولد غالي يا جميلة لا يمكنك التفريط به بهذه السهولة.
- هل لأنني لم أتزوّج ولم أنجب يا لطيفة يعني أنّني لا أقدّر قيمة الولد. سامحك الله، ربما أقدّره أكثر. وهل نسيت كم من السنوات قضيتها في تعليم الأولاد ومشاكلهم. نبيل عندي أغلى من أي شيء. لو أنّ الظروف أبعدته عنّا في الفترة الأخيرة ولم نشعر به إلا أن هذا لا يعني أننا لا نحبّه وأنتِ تعرفين هذا جيّدًا.
حسن لا ترغبين بهذا الحلّ. أعطني حلاً بديلاً. منذ أكثر من شهر وأنا أقول لك يا لطيفة، دعينا نأخذه إلى المصح وأنتِ تقولين نتكلّم معه، نضغط عليه، ستنتهي نقوده ولا يجد ما يشتري به فيرتدع. ألا تخشين أن يتصرّف بحماقة أكثر ممّا فعل اليوم؟ أن يسرق مثلاً أو يعتدي على أحد؟ علينا أن نحميه من نفسه.
أنظري ما حلّ به وبك. ها هو زوج ابنتك قد طلب منك عدم التدخّل وعندما دافعت عن نبيل طلب أن يكون ذلك بعيدًا عن بيته. أخته لم يسمح لها زوجه بالمجيء لرؤية والدها لما وصلته من أخبار عن نبيل. وكذلك أبو يوسف انسحب وطلب منك الابتعاد. لأن ما تطلبينه ليس منطقي. ما يغوص فيه نبيل أقوى من حنان الدنيا. هو مرض فعلي وبحاجة إلى أطبّاء مختصّين وليس فقط إلى الحنان.
- ويأتي إليه الممرضون ليسحبوه من المنزل كالمجانين أو كالمجرمين.
- يجب أن تعترفي يا لطيفة أنّه مجرم بحق نفسه. يقتلها ويسيء إليها.
- من ذا الذي يطرق الباب قويًا هكذا... هذا هو بالتأكيد.
- ما العمل يا جميلة هل يمكن أن يؤذينا.
- والله لا أعرف. هل يمكن أن يكون معه سلاح ما؟؟
- يا ربّي نجّينا ، من؟ من الطارق ؟

- إفتحي يا ست جميلة.
- من أنت يا بني ؟ ما بك ؟
- لا تسأليني من أنا. إذهبي وفتّشي عن ابن أختك المخبول المدمن. وأفهميه أن يبتعد عن خطيبتي سمر. وإلا قتلته، أو سلمته إلى الشرطة.
صدّقيني لو أمسكته هذه المرّة لكان الآن في عداد الموتى ، لكن سمر منعتني من اللحاق به. قد تركته يهرب لأعطيه الفرصة الأخيرة. عيب... عيب ما يفعل. أليس لديه أخوات.
- ما القصة يا ولدي ؟ هدئ من روعك . أرجوك تفضل. تفضّلي يا ابنتي.
- يا خالتي منذ زمن ونبيل يتعرّض لي. وأنا أصدّه بكل أدب. لكنّه يزعجني ويحرجني باستمرار دون إدراك.
واليوم كنت أنتظر سمير ليخرج من المحل فتهجّم علي وأسمعني كلمات بذيئة وكأنني زوجة خائنة وتجمّع الناس من حولنا وخرج سمير وتعاركا بشدّة. ولولا أنّني رجوت سمير ألاّ يؤذيه ، يعلم الله ما كان قد جرى. أصرّ سمير على إخبار المخفر لكنّني طلبت منه أن نأتي إليكم أولاً.
- صدّقيني لو رأيته ينظر مجرّد نظر إليها سأخبر الشرطة. وعندي شهود كثر. هل يعتقد أن شرف الناس أضحوكة ؟.
- هدّىء نفسك يا بني. والله معك حق. هو إنسان تائه عن نفسه. ضائع لا يعي ما يفعل.
- وهل يأتي ليرمي بلاه وأخطاءه على الناس؟. أنا أعرفه فقد كنّا في المدرسة معًا ولذلك لم أؤذه.
- شكرًا لك يا سمير. أنت شهم. نحن نحاول معه بكل الأساليب. لكن يبدو أننا يجب أن نتصرّف بشكل مختلف، قبل أن يفوت الأوان أكثر من ذلك.
- تصرّفي يا خالتي. فأنا لم أعد أحتمل.
- آه يا أختي جميلة ، تصرّفي، يا أختي، لأنّني بتّ محتارة بين ما تقولينه وما يقوله والده المسكين الذي يطلب منّي بيع بعض أغراض البيت لإعطائه ما يلزمه من مصروف فهو نور العين الذي فقده. يعتقد أن الأمر كلّه عدم توفيق في العمل. لم يبق له من الصحة والعمر ما يحتمل خبرًا كهذا أو حتّى بعضًا منه. تصرّفي. ربّما حقًا"، الشفقة في حالته لا تنفع.
نعم سأتصرّف . يجب أن أفعل، وأتخلّص من الكابوس الذي يلاحقني. نعم كابوس.
نبيل الذي كان حبيب القلب ودلّوع العائلة يصبح كابوسًا. ترى لأنني لم أستطع تطبيق نظرياتي عليه. لأنني وأنا المرشدة الإجتماعية التي يلجأ إليها كلّ الآباء والأمهات لحل مشكلات بناتهم فشلت في معالجته وهو أقرب الناس إليّ. أم لأنّني لم أنجب لأعرف عمق الأمومة...
لا ، كل الأساتذة وأولياء الأمور يقولون لي دائمًا: إنّك تعالجين مشكلات البنات وكأنّك مارست الأمومة الحقّة.

سنوات خبرتك أكسبتك ما هو أكثر من التصرف التلقائي الذي تمليه الأمومة والأبوّة. ونبيل أقرب الناس إلي.
أكابر لأعترف أنّني أخطأت بإهماله حين كان بأمسّ الحاجة إلى رفقتي ليس صحيحًا أن فشلي في إيجاد طريقة غير المصحّ لإنقاذه هي سبب قسوتي عليه. بل محبّتي له التي تعتصر ألمًا لحاله.
ضاع.
إهمالي أحد أسباب ضياعه. فهل أبقى مكتوفة الأيدي ؟ يجب أن أجبره على قبول العلاج. حاولنا كثيرًا إقناعه وتحمّلنا كل ما بدر منه. فهل هذا هو الوجه الصحيح للحب. أن نحبّه ونتفرّج عليه وهو يتألم ويضيع. لا . ما أفكّر به صحيح وهو المحبة الحقيقيّة. يجب أن أجبره على قبول المساعدة.

- ما الذي أتى بك إلى هنا، أين والدي.
- هو عند أم يوسف، لماذا؟.
- وما دخلك أنت، منذ متى وأنت تهتمين بي وبما أريد.
- هكذا إذن يا نبيل، تعتقد أنني لا أهتم بك.
- تهتمين ؟ إذن أعطني مبلغًا من المال.
- إذا كنت تخبرني لماذا تريده. أعطيه لك.
- وهل أنتِ وصيّة علي، إذا كنتِ تريدين إعطائي هيا. وإلاّ فاذهبي عنّي.
- هكذا تكلّم خالتك يا نبيل ؟
- وكيف تريدينني أن أتكلّم معك ؟ هل أقدّم لك استدعاء وطابع ؟
- نبيل.. أنت نبيل الذي ربّيته وعلّمته ورافقني دومًا عندما كان صغيرًا.
- أنا كبرت الآن ولم أعد بحاجة إلى وصاية أحد وعلمه، وباستطاعتي أن أضربك أيضًا إذا أردت، لكن مزاجي معكّر الآن، فابتعدي عنّي ودعيني أبحث عن أموال هذا العجوز البخيل.
- لم لا تبحث في جيوب هذا المهندس الفاجر الذي يقف أمامي الآن هذا المهندس الذي وزّع هداياه على الجميع يوم قبض راتبه الأوّل.

- كيف تجرئين على نعتي بهذه الصفات، لا تجبريني على سلوك لا يعجبك.
- وهل ستفعل أبشع مما فعلت وتفعل ؟ لا أعتقد أنه بإمكانك أن تقوم بأكثر.
- إبتعدي عنّي لمصلحتك.
- لن أبتعد فما أنت فاعل.
- لا تضطرّيني أن أرفع يدي عليك.
- وهل ضربك لي سيكون أكثر إيلامًا من كلماتك هذه.
- قلت لكِ ابتعدي ولا تفقديني صوابي.
- صوابك ، صوابك قد فقدته منذ زمان بعيد، أما أن أبتعد فلن أفعل، طالما أنا لا أستطيع ضربك لأعيد إليك رشدك. فاضربني أنت ربّما الكفّ الذي توجّهه إليّ يعود عليك بالفائدة.
- قلت لك ابتعدي عنّي، وهل يشعر بي أحد منكم.
- وهل أتيت إلينا ووجدت أبوابنا مغلقة أمامك.
- لا أحد منكم يستطيع مساعدتي. انتهيت أنا انتهيت. قلت لك أعطني النقود الآن وأعدك أن آتي إليك.
- وما الفائدة سيكون الوقت متأخّرًا.
- إذن إذهبي عنّي الآن علي أن أحصل على النقود بأي ثمن.
- بأي ثمن ! هيا اضربني لتحصل على حقيبتي. فيها أكثر مما تطلب.
- قلت لكِ لا تستفزّيني. لن يكون حسن ما سأفعل.
- وهل تعرف أنت ما هو حسن وما هو غير حسن ؟ لم تعد سوى آلة أو حيوان بحاجة إلى ذلك السم في موعده تحقنه في شراييناك لتستعيد وعيك فترة وبدونه لا يمكنك العيش. هل خطأ ما أقول؟
- قولي ما تريدين. لن أهتم.
- إذن جبان أيضًا. تقوى على والدك العجوز وتسمّيه بخيلاً لأنه لم يعطك ما تريده من نقود تشتري بها السمّ الذي تحتاج إليه.
- ابتعدي عنّي. أخرجي من هنال قبل أن أقتلك.
- لن تستطيع قتلي فأنت جبان وقواك تخور لأنك لم تأخذ جرعتك. هذا السم هو قوتك لو كنت قويًا حقًا. لو كنت نبيل الحقيقي لما اضطررت لمطاردة سمر بهذه الطريقة البشعة. لما سمحت أصلا" لسمير أن يخطفها منك. لكنّك أضعت سمر، وأضعت نفسك، وأضعت اسمك.
اضرب الحائط برأسك. أكسر ما تريد من الأثاث، لن أسمح لك بمغادرة المكان إلا إلى حيث اريد.
- خالتي جميلة هل آذيتك؟ الدم ينزف غزيرًا. أرجوك لا تغيبي عن الوعي!!. خالتي ؟؟ لا تذهبي مثل أمّي. الماء ، الماء ، يجب أن نغسل الجرح بالماء.
- لا بأس، لا بأس، هل خفت علي،
هذا أنت تعي أن الجروح تؤذي وتؤلم ولا تهتم لجراح نفسك ونفوس من تحبّهم ويحبونك، أنت تغرس كل يوم خنجرًا جديدًا في صدورنا جميعًا.
ألا تهتم وأنت ترمينا كل يوم بما يجرح أحاسيسنا ومشاعرنا وحبّنا. قليل من الدماء أيقظ الحنان في قلبك ؟ أنت لست كذلك يا نبيل. عد إلى نبيل النبيل الذي نعرفه جميعًا.
- مثلت علي أنّك فقدت الوعي لترعبيني.
ابكِ، نعم إبكِ، علّ الدموع تغسل ما بك. أشفق على نفسك يا نبيل. ما تفعله حرام.
- الوقت صار متأخرًا جدًا، لم أستطيع صدقيني لم أستطيع.
- بل تستطيع. إسمع كلامي.. سنقف جميعًا إلى جانبك وننقذك. فقط استمع إلينا
- ليهزأ منّي الجميع.
- لن يعرف أحد بالأمر صدّقني. حتى والدك لن أخبره بالأمر. سأقول له أنك مسافر .
- وهل تعتقدين أننا في بلد كبير تضيع الأخبار فيه. ستكون سيرتي على كل لسان.
- وهل هذا ما يخيفك فقط ؟ ثمّ هل تعتقد أنّ سيرتك ليست على كلّ لسان ؟
- لكنهم جميعًا يخافون منّي ؟
- لأنك طائش ولا تدرك ما تفعل ؟ لم ترى سمير كيف سحبته رفيقته ليهرب.
- ليهرب من طيشك وليس من قوتك.
- أرأيتِ لم أعد أنفع يجب أن آخذ جرعة كبيرة هذه المرة وأتخلّص من الحياة.
- هكذا وبكل بساطة، تتخلّص من الحياة. ومن قال لك أن الجرعة المضاعفة تنهي الحياة ؟ ألا تخاف من الفشل ؟. ألا تخاف من الموت.
- الموت. أنا أخاف الموت. أنا أموت في اليوم آلاف المرات. هل تعتقدين أن الموت هو توقف القلب عن العمل وتوقف التنفس. الموت هو هذا الإحساس بعدم الفائدة والانهزامية. الموت هو التشاؤم والاحتقار والإحباط الذي أشعر به عندما يحين موعد جرعتي فآخذها لأستعيد ثقتي بنفسي.

أنظري أبي هو ميت فعليًا. ليس جسديًا. يجلس في هذه الزاوية ينتظر الست لطيفة لتحضر له لقمة الطعام وتنظف له البيت. وليمر صديقه كل أسبوع مرة يسأل عنه ويخسره لعبة طاولة. هل تعتقدين أنه يعيش ؟
- كان سيعيش بشكل أفضل لو أن بجانبه ولد يسأل عنه. يشاركه أيّامه. ينجب له الأحفاد. ليستمتع برؤيتهم يكبرون.
دعني أساعدك يا نبيل. بإمكانك التخلّص من آثارها في المصح ويعود إليك الأمل والتفاؤل. أنا مستعدة لدفع كامل المصاريف.
- حقًا. ما رأيك أن تعطيني دفعة على الحساب وأنا أعدك بأنني سأخفف الجرعات حتى أتخلص منها نهائيًا. وهذا يكلّفك أقل.
- يبدو أنه لا جدوى من الحديث معك. ستضطرني لاستعمال القوة.
- لن تستطيعي عمل أي شيء.
- تعال معي يا نبيل لنذهب إلى الدكتور وجيه وهو سيساعدك.
ستذهب معي. شئت أم أبيت. أبو يوسف بانتظارنا لأن قواك خائرة أنا لا أستطيع حملك. سأضمد جرحي وأدعوه.

- هل تحاول الهرب. إلى أين.. ستهرب..؟ وكم ستبقى هاربًا ؟ أنت تهرب من نفسك يا نبيل. أنت تعرف أن ما تفعله خطأ وتريد تصحيح الخطأ. ولا تعرف كيف. أو بالأحرى لا تقوى.
دعنا نساعدك يا نبيل. عد. لا تنزل هكذا على الدرج . ستقع... أرجوك... انتظر يا نبيل.
نبيل !! انتبه. هناك درجة مكسورة. نبيل.
نبيل.
نبيل.

هناء كرم